قيل من اناب لي ابو بكر فان سعد اسلم بدعوة ابي بكر له ثم ان ابن لقمان قال
لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله تعالى
فقال يا بني مجيبا له مستعظما مصغرا له بالنسبة الى حمل شي من غضب
الله تعالى انها اي الخطيئة ان تك واسقط النون لغرض الايجاز في الايصال
مثقال اي وزن ثم حقرها بقوله حبة وزاد في ذلك بقوله من خردل
اي ان تكن في الصغر كحبة الخردل وقرا نافع مثقال بالرفع على ان الها ضمير الخطيئة
كامرا والقصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الاعشى
وتشرق بالقول الذي قد ذكرته • كما شرقت صدر القناة من الدم •
والشرق الغصة يقال شرق بريقه اي غص والشاهد في شرقت حيث
انثه لاضافة الصدر الى القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم اثبت النون في
قوله مبينا عن صغرها فتكن اشارة الى ثباتها في مكانها ولتزداد شوق
النفس الى محط الفايدة ويذهب الوهم كل مذهب معبرا عن اعظم
الخفاء واتم الاحوال في صخرة اي صخرة كانت ولو انها اشد الصخور واخفى
ولما اخفي وضيق اظهر ووسع ورفع وخفض ليكون اعظم لضياعها لحقارتها
بقوله او في السموات اي في اي مكان منها على سعة ارجائها وتباعد
نجابها واعادوا ونصا على اراه كل منهما على حدته بقوله او في الارض
اي كذلك وهكذا كما ترى لا ينفي ان تكون الصخرة فيهما او في احدهما
واخرج ابن ابي حاتم عن علي بن رباح انه لما وعظ لقمان ابنه وقال انها ان
تك الاية اخذ حبة من خردل فاتى بها اليرموك فالقاها في عرضه ثم
مكث ما شاء الله تعالى ثم ذكرها وبسط يده فاقبل بها ذباب حتى وضعها
في راحته وقال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور
وهي لا في الارض ولا في السما وقال الزمخشري فيه اضمار تقديره ان تكن في
صخرة او في موضع اخر في السموات او في الارض وقيل هذا من تقديم الخاص وتاخير العام
وهو جائز في مثل هذا التفسير وقيل خفا الشي يكون بطرق منها ان يكون في
غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب
فاذا امتنعت هذه الامور فلا يخفى في العادة فاثبت لله الرؤية والعلم مع
انتفا الشرايط بقوله ان تك مثقال حبة من خردل اشارة الى الصغر
وقوله فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب وقوله او في السموات اشارة الى البعد
وانها ابعد الابعاد وقوله وفي الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض
اظلم الاماكن وقوله يات بها الله ابلغ من قول القايل يعلمه الله لان من
يظهر له شي ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر
له الشي ويظهره لغيره فقوله يات بها الله اي يظهرها للاشهاد يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها يوم القيمة ان الله اي الملك العظيم لطيف اي

نافذ

نافذ القدرة يتوصل علمه الى كل خفي عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها
خبير اي عالم ببواطن الامور فيعلم مستقرها روي في بعض الكتب ان
هذه اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن
معنى الاية هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها ولما نبهه على احاطة علمه سبحانه
واقامته للحساب امره بما يدخره لذلك توسلا اليه وتخشعا لديه وهو
ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدقه بقوله يا بني مكررا النداء تنبيها
على فرط النصيحة لفرط الشفقة اقم الصلاة اي بجميع حدودها وشروطها
ولا تغفل عنها سببا في نجاة نفسك وتصفية سرك فان اقامتها وهو لابد
على النحو المرضي مانعة من الخلل في العمل ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر
لانها الاقبال على من وحدته واعرضت عن كل ما سواه لانه في التحقيق عدم
ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثابتة للتوحيد وبهذا يعلم ان الصلاة
كانت في ساير الملل لعز ازمنة انبيائها اختلفت وترك ذكر الصلاة تنبيها على
انه من حكمته والحكمة تحلية وتخلي ولده من الدنيا حتى ما يكفيهم لقوتهم ولا امره
بتكميله غيره بقوله وامر بالمعروف اي كل من تقدر على امره تهذيبا لغيرك
وشفقة على نفسك لتخليص ابنا جنسك وانه اي كل من قدرت على نهيه
عن المنكر حبا لاخيك ما تحب لنفسك تحقيقا لنصيحتك وتكميلا
لعبادتك ومن هذا الطراز قول ابي الاسود رحمه الله تعالى ابدا بنفسك
فانهها عن غيها • فان انتهت عنه فانت حكيم • لانه امره اولا بالمعروف وهو
الصلاة الناهية عن الفحشا والمنكر فاذا امر نفسه ونهاها ناسب ان
يامر غيره وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان الا انه لما كان من سياق المدح
له كنا مخاطبين به فان قيل كيف قدم وصيته لابنه الامر بالمعروف على
النهي عن المنكر وحين امر ابنه قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فقال
لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلاة اجيب بانه كان يعلم ان ابنه معترف
بوجود الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي ترتب على هذا
المعروف واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف يقدم على المنكر ولما كان القابض
على دينه في غالب الازمان كالقابض على الجمر قال له واصبر صبرا عظيما بحيث
تكون مستعليا على ما اي الذي اصابك اي في عبادتك وغيرها من الامر
بالمعروف وغيره سواء كان بواسطة العباد ام لا كالمرض وقد بدا هذه الوصية
بالصلاة وختمها بالصبر لانهما ملاك الاستعانة قال تعالى واستعينوا
بالصبر والصلاة واخرج احمد عن هشام بن عروة عن ابيه قال مكتوب في
الحكمة يعني حكمة لقمان لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسيطا تكن احب
الناس ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب في الحكمة او في التوراة الرفق راس الحكمة
وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب في الحكمة

Copyright © King Saud University